Archive of SID

الخيل والفرس فی ديوان المتنبی

مريم صاعد واقفی*

الملخص

تدخل أسماء الحيوانات، وأوصافها فی دواوين الشعراء تارة لوصف الحيوان، وتارة لأغراض أخرى، وللفرس مكانة سامية عند الشعراء، خاصة عند المتنبی فی المدح، والفخر. إن المتنبی من أهم الشعراء الذين استفادوا من الفرس فی مفاخراته، ومدائحه. تصدی هذا المقال ليدرس الفرس فی شعر المتنبی، ولهذا الغرض يدرس من خلال مدائحه، وفخرياته، حالات مختلفة من الخيول، كالأوصاف الجسمية، والظاهرية للحيوان، وحركة الخيول على أجساد القتلی، وانسكاب دماء القتلی، كالأنهار على أبدان الخيول، وحالات التقاء الخيول، والجيوش، مع توصيف قدرتها ومقاومتها أمام عدد الجيوش، والغبار المتراكم الذی يصعد من حوافر الخيل خلال ساحة المعركة، وحالات الخيول، وحركاتها فی الدماء وعلى الجثث.

الكلمات‌الدليلية: الخيل، الفرس، الوصف، المتنبی.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فی إسلامشهر.

تاريخ الوصول: ١٣٨٩/١/١٨هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٨٩/٧/١٠هـ. ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

للفرس الجواد فی الثقافة العربیة صفات معینة عالیة، تکون ذات قیمة عند العرب کسرعة العدو، وقصر الشعر، والنشاط، والحبوبة، والذکاء، و... إلخ.

وفی هذا المجال، نستعرض قسماً من هذه الخصوصیات من دیوان الشاعر الشهیر أبی طیب المتنبی، و ندرس فیها.

جدیر بالذکر أن مدح الخیل لیس رأی المتنبی، و غایته الأصلیة، عندما یصف هذا الحیوان؛ بل الشاعر یجعل الفرس دائماً کأدات لمدح ممدوحیه، وکذلک بالغ فی مدح بطولة الفرسان، کما بالغ فی وصف حالات الخیول فی ساحات القتال، وهو فی هذا المجال یتمیز بالدقة والظرافة.

نری فی دیوان المتنبی خصوصیات، وحالات بدیعة مختلفة للفرس، خاصة خلال قصائد المدح، والفخر، ومؤلف هذه المقالة، یذکر بعض هذه التوصیفات، محاولة أن یدرس الموضوعات التالیة:

ذکر بعض العلامات الجسمیة، والظاهریة للحیوان والتی قد ذکرها المتنبی فی دیوانه؛ کتصویر حالات الفرس من خلال وصف ساحات المعارک، ووصف حرکة الخیول علی أجساد القتلی وعلی دمائهم، ومن الملاحظ أن الخیل وسیلة لمدح ممدوحیه.

الف) ذکر العلامات الجسمیة والظاهریة للحیوان

بعض العلامات فی الفرس تدل علی أصالة الحیوان، ونجابته؛ کسرعة العدو، والنشاط، والحیویة، وقصر الشعر، وحالة الحوافر، وذکاء الحیوان، وشعوره فی بعض المواقف، ومواضعه الموجودة فی أطرافه.

وکل هذه الصفات التی تدّل علی أصالة الحیوان، ونجابته موجودة فی بعض أشعار المتنبی.

www.SID.ir

Archive of SID

إنّ الشـــاعر يعرض (يبين) فى أبياته الشعرية، الفرس الأصيل الذى لا نظير له، وهذا يختصّ بالمدح، لأنّه للمدوح الشجاع الذى يليق بالمدح.

يعلم الشـــاعر أن حالة الفرس مهّم جدا، وهى عامل مؤثّر فى ســـرعته؛ ومن أهمّ الحركات التى أشـــار المتبنى فى ديوانه هى: التقريب، والجرى، والشد، والخبّ.[1]

أما التقريب فى عدو الفرس، فهو أن يرجم الأرض بيديه؛ وهما ضربان؛ التقريـــب الأدنى، وهو الإرخـــاء، والتقريب الأعلى، وهـــو الثعلبية، وقيل: التقريـــب ضرب من العدو. يقال: قرب الفـــرس إذا رفع يديه معاً ووضعها معاً، فى العدو؛ وهو دون الحضر. وقرب الفرس، يقرب تقريباً إذا عدا عدوا دون الإسراع. (ابن منظور، ١٩٩٠م، ج١: ٦٦٦)

أما الشد فمعناه الحضر والعدو، والفعل اشتدّ أى عدا. وقال ابن رميضٍ العنبرى، ويقال رميص، بالصاد المهملة:

هذا أوان الشّدّ فاشتدّى زيم

وزيم: اسم فرسه؛ وفى حديث الحجاج:

هذا أوان الشّدّ فاشتدّى زيم

هو اسم ناقته أو فرسه. وفى حديث القيامة، كحضر الفرس، ثمّ كشدّ الرجل الشديد العدو. (المصدر نفسه، ج٣: ٢٣٤)

يقول المتنبى فى مدح الكافور:

فكن فى اصطناعى محسناً كمجرّب

يبـــن لک تقريـــب الجواد وشـــدّه

اصطنعه بمعنى اختاره موضعاً لصنيعته: أى برّه ومعروفه.

والتقريب والشدّ: ضربان من جرى الخيل. قال ابن جنى: أى جهّر بنى

١. التقريب، الشد، والجرى: كلها تدّل على سرعة العدو فى الفرس؛ ولكن فى معانيها اختلافات طريفة.

www.SID.ir

Archive of SID

ليظهر لک صغير أمری وکبيره؛ فإما اصطنعتنی، وإما رفضنی، فلا فضل بينی وبين غيری إذا لم تجربنی.

وقال الواحدی: جبرينی فی اصطناعک إياای، ليتبين لک أنی موضع للصنيعة، فبالتجربة يعرف الفرس، وأنواع جريه من التقريب والشّد. (البرقوقی، ۲۰۰۷ م، ج۱: ۳۲۷)

وقال المتنبی فی مدح کافور:

وجدت أنفع مال کنت أذخره ما فی السوابق من جری وتقريب

يقول الشاعر: إنی وجدت ما فی الخيل من عدو أنفع الأشياء التی ادخرتها، لأنها حملتنی إلی کافور، وأخرجتنی من بين الغادرين بی. فالسوابق: الخيل، والتقريب: ضرب من العدو کما ذکرنا. (البرقوقی، ۲۰۰۷م، ج۱: ۱۸۷)

الخبّ: يقال خبب، والخبب: ضرب من العدو؛ وقيل: هو مثل الرَّمل. وقيل: هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً، وأياسره جمعا؛ وقيل: هو أن يراوح بين يديه ورجليه، وکذلک البعير؛ وقيل الخبب: السرعة؛ وقد خبَّت الدّابة تخبّ بالضَّمّ، خبّا، وخبيبا، وخببا، واختبت، حکاه ثعلب، وأنشد:

مذکرة الثُّنيا، مساندة القری جمالية تختــبّ ثمّ تنيب

(ابن منظور، ۱۹۹۰م، ج۱: ۳۴۱)

يقول المتنبی:

فبــت ليالیــاً لانــوم فيها تخبّ بک المسومة العراب

خبّ الفرس: أسرع؛ وقيل: الجنب أن يثقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا، وقيل: هو أن يراوح بين يديه، ورجليه، وکذلک البعير؛ والمسوّمة الخيل، المعلمة بعلامات تعرف بها: وقال أبو زيد فی قوله تعالی: (والخيل المسومّة) (آل عمران: ۱۴)، الخيل المسومة، المرسلة وعليها ربانها، وهو من قولک: سومت فلاناً وإذا خليته، وسومه، أی وما يريد؛ والعراب العربية.

www.SID.ir

Archive of SID

یقول: تعدو بک الخیل العربیة المعلمة فی طلبهم لاتعرف النوم. (البرقوقی، ۲۰۰۷م، ج۱: ۱۳۲)

ب) تصویر حالات الفرس من خلال وصف ساحات المعارک

یصف المتنبی حالات مختلفة من الخیول، کحرکة الخیول علی أجساد القتلی، وانسکاب دماء القتلی کالأنهار علی أبدان الخیول، وحالات التقاء الخیول والجیوش مع توصیف قدرتها، ومقاومتها أمام عدد الجیوش، والغبار المتراکم الذی یصعد من حوافر الخیل خلال ساحة المعرکة، وحالات الخیول، وحرکاتها فی الدماء وعلی الجثث.

وهنا نستعرض بعض هذه العناوین وأهمّها.

۱. حرکة الخیول علی أجساد القتلی وعلی الدماء.

أکثر استفادة المتنبی من معنی الخیل فی دیوانه، یختصّ بتوصیفاته لساحات المعارک، وتجلیاتها الخاصّة، ومن أروع وأبدع الحالات التی تمثل الشاعر فی دیوانه، هی تصویر حالات المعارک، وحرکة الخیول علی أجساد القتلی، وفی دمائهم، انسکاب دماء القتلی کالأنهار علی أبدان الخیول، وعدوها السریع خلال الحروب، بحیث یصعد الغبار من هذه الحرکات السریعة:

حتّی انتهی الفرس الجاری وما وقعت

فی الأرض من جثث القتلی حوافره

یقول: حتی بلغ فرسه نهایة جریه، ولم تقع حوافره علی أدیم الأرض لکثرة القتلی، وإنما وطیء أجسادهم، ویروی بدل جثث: جیف. (البرقوقی، ۲۰۰۷م، ج۱: ۳۸۷)

کأن خیولنا کانــت قدیماً تسقّی فی قحوفهم الحلیبا

فمــرّت غیر نافــرة علیهم تدوس بنا الجماجم والتریبا

www.SID.ir

Archive of SID

القحوف: جمع قحف ـ بكسر القاف ـ وهو العظم الذى فوق الدماغ؛ والجمجمة: العظم الذى فيه الدماغ؛ والترتيب: عظم الصدر، والجمع: الترائب: موضع القلادة من الصدر. يقول: كأنّ خيلنا كانت فى صغرها تسقى اللبن فى أقحاف رؤوسهم، فألفتهم حتى صارت تدوس جماجهم، وصدورهم، ونحن عليها لاتنفر منهم.وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها. (المصدر نفسه: ۱۶۸)

إذا أنعلن فــى آثار قوم و إن بعدوا جعلنهم طراقاً

إنعال الخيل: تصفيح أيديها بالحديد، والطراق: نعل تحت نعل. يقول: إذا أنعلت خيله لقصد قومٍ، أدركتهم فداستهم بحوافرها، حتى تصير جلودهم، ولحومهم طراقاً لنعالها، وإن بعد المطلوبون. (المصدر نفسه، ج۲: ۸)

أجلتها مــن كل طاغٍ ثيابه ومؤطئها من كل باغ ملاغمه

الأجلة ـ جمع جل ـ ما يجعل على ظهر الدابة؛ والملاغم ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه: جمع ملغم. قال بعض اللغويين: الملاغم من كل شيء، الفم والأنف والأشداق، وذلک أنها تلغم بالطيب، وفى الإبل بالزيد، وتلغمت المرأة بالطيب: جعلته فى الملاغم. والمغلم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير ـ وهو زبده ـ سهى بذلک لأنه موضع اللغام. وقيل لأعرابى:

متى السير؟ فقال: تلغموا بيوم السبت. أى: اذكروه يوم السبت. واشتقاقة من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم الســبت. يقول: إنه يسلب ثياب كلّ طاغ من ملوک الروم فيتخذ منها أجلة لخيله، ويوطىء حوافرها وجه كل باغ فيهم. (المصدر نفسه: ۲۷۲)

أرى دون ما بين الفرات وبرقة ضراباً يمشى الخيل فوق الجماجم

الفرات المجهز المعروف؛ وبرقة: قرية فى العراق. يقول: أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف، يكثر فيها قطع الرؤوس

www.SID.ir

Archive of SID

حتی تطأها الخیل، فتمشی فوق جماجم القتلی.

۲. وصف الغبار فی ساحات القتال

ذکرنا أنّ تصویر حالات المعارک، وحرکة الخیول علی جسمان وفی دمائهم، وعدوها السریع خلال الحروب، بحیث یصعد الغبار من هذه الحرکات السریعة، من أبدع الحالات التی تمثّل الشاعر فی دیوانه.

خرجن من النّقع فی عارضٍ ومن عرق الرّکض فی وابل

النقع: الغبار؛ والعارض: السحاب؛ والوابل: المطر الکثیر؛ وخرجن أی الخیل. یقول: خرجت الخیل للحرب، فکانت من الغبار فی سحاب ومن العرق فی مطر. (المصدر نفسه: ج۲: ۷۹) یستعمل الشاعر هنا من صنعة التجرید باستعمال کلمة من.

فی جحفل ستر العیون غباره فکأنما یبصرن بالآذان

الجحفل: الجیش العظیم. وفی جحفل: حال من الجیاد. یقول: قاد خیله فی جیش عظیم قد تکاثف غباره حتی ستر العیون؛ فلاتبصر فیه الخیل مع صدق حاسة نظرها؛ ولکنها إذا أحست شیئاً نصبت آذانها، فکأنها تبصر بآذانها، وهذا من بدیع التخیل. (المصدر نفسه: ۴۳۳)

تثیر علی سلمیة مسبطرا تناکر تحته لولا الشعار

سلمیة: موضع، والمسبطر: الغبار الممتد؛ والشعار العلامة یتعارفون بها؛ یقول: تثیر خیلک علی هذا المکان ـ سلمیة ـ غباراً منتشراً لاتعرف الخیل تحته بعضها بعضاً، أی صاحب الخیل. أی الجیش لولا العلامة التی تتعارف بها. فقوله: تناکر ـ بحذف إحدی التاءین ـ أی الخیل. (المصدر نفسه، ج۱: ۳۷۵)

عجاجاً تعثر العقبان فیه کأن الجّو وعث أو خبار

عجاجا: بدل من مسبطرا، والعجاج: الغبار. والوعث من الأرض: السهل الکثیر الرمل، وهو ما تغیب فیه القوائم لسهولته.

www.SID.ir

Archive of SID

والخبار: الأرض النية الرخوة. يصف الغبار بالكثافة؛ يقول: إنّ العقبان التی تثير مع الجيش تعثر فی ذلک الغبار وكثافته، فكأن الجوّ أرض لينة تغوص فيها أرجل الطير، فتعثر لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل وكثافته.

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغــی عنقاً عليه أمكنا

السنابک: جمع سنبک، وهو طرف مقدم الحافر والعثير: الغبار. والعنق: ضرب من السير عليه سريع. يقول: عقدت سنابک الخيل فوقها غباراً كثيفاً، لو طلب السير عليه لأمكن من كثافته. (المصدر نفسه، ج۲: ۴۴۹)

يبين المتنبی النقع الذی تظهر الخيول فی حو المعارک من أثر التقاء حوافرها بالأرض، بالجمال وهذه هی الملحمة التی حاوی المتنبی أن يخلق بالدّفة.

۳. التصاوير النهائية من الحروب

يصور المتنبی دائماً التصاوير النهائية من الحروب كذا: الصمت الحزين المطبق، والخيول الفاتحة المتبخترة التی تمشی علی القتلی، مغطين بدمائهم وغبار ساحات المعارک، مصعدين علی الأرض ذليلين.

حتی انتهی الفرس الجاری وماوقعت

فی الأرض من جثث القتلی حوافره

يقول: حتی بلغ فرسه نهاية جارية، ولم تقع حوافره علی أديم الأرض لكثرة القتلی، وإنمّا وطیء أجسادهم. ويروی بدل جثث: جيف.

فمرّت غيــر نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا
إذا أنعلــن فــی آثار قوم وإن بعــدوا جعلنهم طراقا
أجلتها من كل طاغ ثيابه وموطئها من كل باغ ملاغمه
أری مادون الفرات وبرقة يمشی الخيل فوق الجماجم

يقول المتنبی إنّ الممدوح الفاتح الشجاع، عندما قدم إلی كلّ بلد، يقاتل كلّ المقاتلة بحيث يغطّی كلّ الطرق والسبل من كثرة جثث القتلی،

www.SID.ir

Archive of SID

بحيث إنّ الفرس لايمكن له أن يمشى على الأرض بل عليه أن يمشى على الأجساد وحوافره يتصل بالأجساد عوضا عن التراب.

ومن مثل هذه التصاوير كثيرة فى ديوانه؛ وهدف الشاعر من توصيف هذه الصور، هو مدح شجاعة الممدوح، وتبيين مقدرته فى القتال، وفتحه، وغلبته على الأعداء.

ج) وصف الخيل فى مدائح المتنبى

معظم أشعار المتنبى التى يمتدح فيها عن الخيول هى مدائحه. فأغلب هذه المداح يتعلق بسيف الدولة، وكافور الإخشيدى. يحاول الشاعر أن يصل من خلال وصف الفرس الأصيل إلى صفات وخصائل ـ ممدوحه ـ كالشجاعة، والهيبة، والقدرة، والفروسية فى المعركة، وحضور صاحب الفرس الدائم فى ساحات القتال من ركوب الخيل، والنصر، والكرم، والعفو، إلى غيرها ـ ومن هنا استفاد الشاعر من كلمة الفرس فى مدائحه أكثر مما كان فى غيره.

ومن خلال هذه التوصيفات حينما يصف الخيول، ويبين صفات الفرس الأصيل، حاول فى الحقيقة أن يمدح الممدوح الشريف النجيب الأصيل الذى يزينه أكمل الصفات الإنسانية الموجودة.

ممدوح المتنبى يتسم بالبطولة، والنبل، والشجاعة فى ساحات الوغى، ويفتخر الفرسِ ببمدوح المتنبى حتى إن جميع الخيول الأخرى، تغبط، أو تحسد فرس المتنبى التى يركبها الممدوح.

يقول المتنبى فى مدح سيف الدولة:

وتعيظ الأرض منها حيث حلّ به وتحسد الخيل منها أيها ركبا

ولذلک ترى فرس الممدوح تمرح، وتفخر، وتصهل بالفوز والانتصار بكلّ حرية وفرح لعلمها اليقينى بشجاعة الممدوح، وبسالته، وانتصاره الحتمى.

www.SID.ir

Archive of SID

النتيجة

استفاد الشاعر كلمتی الخيل والفرس، فی مدائحه أكثر مما كان فی غيره. ومن أروع وأبدع الحالات التی تمثل المتنبی فی ديوانه: تصوير حالات المعارک، وحركة الخيول على جثمان القتلی، وهذه هی التصاوير النهائية فی قصائده عادة لأن أكثر استفادة الشاعر من معنی الخيل فی ديوانه يختصّ بتوصيفاته للمعارک، وتجلياتها الخاصة، ومن خلال هذه التوصيفات، يحاول الشاعر أن يصل إلی مدح الممدوح الشريف الشجاع، الأصيل النجيب الذی يزينه أكمل الصفات الإنسانية.

المصادر والمراجع

ابن منظور الإفريقی. ١٩٩٠م. *لسان العرب*. بيروت: دار العلم للملايين.
البرقوقی، عبدالرحمن. ٢٠٠٧م. *شرح ديوان المتنبی*. بيروت: دارالكتاب العربی.

www.SID.ir

Archive of SID

خیل و فرس در دیوان متنبی

مریم صاعد واقفی افوشته*

متنبی (۳۰۳ق۳۴۵-ق) شاعر بلند آوازه عرب، در خلال اشعارش، ابیات فراوانی را به توصیف حیوان به طور مستقیم یا غیر مستقیم، اختصاص داده است. در میان حیواناتی که متنبی به آن توجه نشان داده، اسب جایگاهی ویژه دارد. بیشتر ابیاتی که شاعر در آن به طریقی به توصیف اسبان و سواران آن می‌پردازد، مربوط به نبردها، و برای به تصویر کشیدن صحنه‌های پیروزمندانه جنگ، و نشان دادن شجاعت و دلاوری‌های دلاوران صحنه‌های کارزار است و کمتر به نقش و استفاده های دیگر اسب، مثلا به عنوان وسیله‌ای برای شکار و تفریح و ابزاری برای طی مسیر و غیره، اشاره کرده است. در این مقاله تلاش بر آن است تا توصیفات مربوط به دو واژه خیل و فرس، به عنوان واژگانی که شاعر در دیوان خود، فراوان از آن یاد می‌کند، مطرح و مورد نقد و بررسی قرار گیرد.

کلیدواژه‌ها: خیل، فرس، متنبی.

*. عضو هیئت علمی دانشگاه آزاد اسلامی واحد اسلامشهر.

تاریخ الوصول: ۱۳۸۹/۱/۱۸هـ. ش تاریخ القبول: ۱۳۸۹/۷/۱۰هـ. ش

www.SID.ir